

٢٠٢٧

١٨١٩

الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري

نهضة المهدى

فى ضوء فلسفة التاريخ

تعريب محمد على أذرنش

«الطبعة الثانية»

الكتاب: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ

المؤلف: الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري

تعريب: محمد علي أذرشب

الناشر: المكتبة الاسلامية الكبرى

توزيع: مؤسسة البعثة - طهران - شارع سمية - ت (٨٢١١٥٩)

الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هجرية

حقوق الطبع محفوظة

الفهرس

- المقدمة
- انتظار الفرع
- نوعان من الانتظار
- شخصية المجتمع و طبيعته
- القرآن والتاريخ
- تفسير تكامل التاريخ
- طريقتان مختلفتان
- الطريقة الديالكتيكية او الآلية
- العنصر الاساسي
- نتائج الاتجاه الآلي لتفسير التاريخ
- ١ - مفهوم القديم والجديد.
- ٢ - التسلسل المنطقي للتاريخ.
- ٣ - ذروة كل مرحلة.
- ٤ - قدسية النضال.
- ٥ - اشارة الفوضى.
- ٦ - الاصلاحات.
- الطريقة الانسانية او الفطرية.

نتائج الاتجاه الانساني او الفطرى لتفسير التاريخ.

١ - المعارك الراحبة.

٢ - حلقات التاريخ.

٣ - قدسية النضال.

٤ - الاصلاحات.

٥ - اثار الفوضى.

٦ - تأرجح منحنى التاريخ.

٧ - التحرر من اغلال الطبيعة.

٨ - ماهية الجهاد.

٩ - اصالة القوى الفكرية والاخلاقية.

١٠ - المثلث الهيغلى.

نظريتان لتفسير الانسان

التفسير القرآنى.

المجتمع المثالى.

الانتظار الكبير.

الانتظار المخرب.

تصور شبه ديبالكتيكى.

الانتظار البناء.

مقدمة

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الانسان موجود ينشد الكمال فطرياً، وهكذا المجتمع الانساني، وهذه حقيقة تؤكد عليها الشرائع السماوية والمدارس الفكرية والفلسفية، اللهم الا اصحاب الاتجاهات التشاؤمية، وقليل ما هم.

انطلاقاً من هذه الفطرة تطلعت البشرية دوماً الى يوم موعود... يوم تحقق الآمال، وسيادة العدل، وزوال الوان الظلم.

التطلع لمثل هذا اليوم شكّل ركناً من أركان الشرائع السماوية باعتبارها دين فطرة الله.

كما انعكس التطلع لهذا اليوم الغيبي على أشد المدارس الارضية رفضاً للغيب مثل المادية الجدلية التي آمنت بيوم موعود تزول فيه كل الوان الصراع القائم على ظهر الارض، ويسود فيه الوئام والسلام.

مسألة (المهدي) في الاسلام تجسيد لهذا التطلع الفطري.

وهي - إضافة الى كونها عقيدة تلبي حاجة إيمانية فطرية في الانسان - ذات آثار عملية على مسيرة المجموعة المسلمة.

- في مرحلة النضال من أجل استلام زمام أمور خلافتها في الارض.

— وفي مرحلة تسلّم أعباء الامانة الكبرى وممارسة أمور الاستخلاف^١.
في هذه المقدمة نستعرض الطرق التي سلكها الباحثون في دراسة مسألة
(المهدي) في الاسلام لتتبيّن طريقة الاستاذ الشهيد مطهري لدراسة المسألة في هذا
الكتاب.

الباحثون في مسألة المهدي سلكوا ثلاثة طرق:

١ — دراستها على مستوى النصوص (المأثور من السنة الى جانب بعض آيات
القرآن الكريم).

٢ — دراستها من وجهة النظر العقلية والعلمية.

٣ — دراستها على ضوء فلسفة التاريخ ومستقبل المسيرة البشرية.

١ — دراسة المسألة على مستوى السنّة.

فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر الذي تتحقق على يديه تطلعات البشرية،
وتطبيق الرسالة الالهية بشكلها الشامل الكامل وردت في أحاديث الرسول وفي
أحاديث ائمة آل البيت، وبلغت كثره الروايات — في هذا الشأن — حدّاً لا يمكن أن
يرقى إليها الشك.

أحصى العلماء اربعمئة (٤٠٠) حديث عن النبي (ص) في المهدي من طرق
اخواتنا اهل السنّة^٢.

كما أحصيت اكثر من ستة آلاف (٦٠٠٠) رواية في المهدي من طرق الشيعة
والسنّة^٣.

ولانستطيع أن نجد مسألة إسلامية أخرى وردت فيها هذه الكثرة من
الاحاديث، حتى المسائل الاسلامية البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادة.

ثمة فتوى صدرت عن إدارة المجمع الفقهي الاسلامي التابع لرابطة العالم
الاسلامي في مكة المكرمة بشأن ((المهدي)) هي خير معبر عن الموقف العام لعلماء

^١ — دور الايمان بالمهدي المنتظر في المرحلتين المذكورتين شرحناه باختصار في مقدمة «الامداد الغيبي في حياة
البشرية». للشهيد مطهري

^٢ — المهدي، سيد صدر الدين الصدر.

^٣ — منتخب الآثار، لطف الله الصافي.

إخواننا السنة بشأن النصوص الواردة في هذه المسألة.

حرر الفتوى الشيخ محمد المنتصر الكتاني وأقرته اللجنة المكونة من الشيخ صالح بن عنيمين والشيخ أحمد محمد جمال والشيخ أحمد علي والشيخ عبدالله خياط.

وجاء في هذه الفتوى الصادرة عام (١٩٧٦ م) في تعريف المهدي: «هو: محمد بن عبدالله الحسني العلوي الفاطمي المهدي الموعود المنتظر، موعد خروجه في آخر الزمان وهو من علامات الساعة الكبرى، يخرج من المغرب ويباع له في الحجاز في مكة المكرمة بين الركن والمقام — بين باب الكعبة المشرفة والحجر الأسود عند الملتمزم.

ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس ويملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يحكم العالم كله وتخضع له الرقاب بالاقناع تارة وبالحرب أخرى.

وسيملك الأرض سبع سنين، وينزل عيسى عليه السلام من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله بباب لدبارض فلسطين.

وهو آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر عنهم النبي صلوات الله وسلامه عليه في الصحاح. وأحاديث المهدي واردة عن الكثير من الصحابة يرفعونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبدالله، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن عباس وعمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود، وأبوسعيد الخدري، وثوبان، وقرة بن إياس المزني، وعبدالله بن الحارث بن جزء وأبوهريرة، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبدالله، وأبوأمامة وجابر بن ماجد الصديقي، وعبدالله بن عمر، وأنس ابن مالك، وعمران بن حصين، وأم سلمة.

هؤلاء عشرون منهم ممن وقفت عليهم وغيرهم كثير وهناك آثار عن الصحابة مصرحة بالمهدي من أقوالهم كثيرة جداً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فيها. أحاديث هؤلاء الصحابة التي رفعوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي

قالوها من أقوالهم اعتماداً على ما قاله رسول الله صلوات الله وسلامه عليه رواها الكثير من دواوين الاسلام وامهات الحديث النبوي من السنن والمعاجم والمسانيد. منها: سنن ابي داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن عمرو الداني ومسانيد أحمد، وابن يعلي والبخاري، وصحيح الحاكم، ومعاجم الطبراني، الكبير والوسيط، والرويانى، والدارقطني في الافراد، وأبونعيم في أخبار المهدي، والخطيب في تاريخ بغداد، وابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرها.

وقد خص المهدي بالتأليف: أبونعيم في أخبار المهدي وابن حجر الهيثمي في القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، والشوكاني في التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح وادريس العراقي المغربي في تأليفه المهدي وأبو العباس بن المؤمن المغربي في كتابه: الزعم المكون في الرد على ابن خلدون. وآخر من قرأت له عن المهدي بحثاً مستفيضاً مدير الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة في مجلة الجامعة في أكثر من عدد.

وقد نص على أن أحاديث المهدي أنها متواترة جمع من الأعلام قديماً وحديثاً. منهم: السخاوي في فتح المغيب، ومحمد بن أحمد السفاويني في شرح العقيدة، وأبو الحسن الآبري في مناقب الشافعي، وابن تيمية في فتاواه، والسيوطي في الحاوي، وادريس العراقي المغربي في تأليف له عن المهدي، والشوكاني في التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح، ومحمد بن جعفر الكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر، وأبو العباس ابن المؤمن المغربي في الوهم المكون من كلام ابن خلدون رحمهم الله وحاول ابن خلدون في مقدمته أن يطن في أحاديث المهدي محتجاً بحديث موضوع لأصل له عند ابن ماجه: لامهدي إلا عيسى. ولكن رد عليه الأئمة والعلماء وأنه ليس من علماء الشريعة وأنه قال باطلا من القول وزوراً.

وخصه بالرد شيخنا ابن المؤمن بكتاب مطبوع مستداول في الشرق والمغرب منذ أكثر من ثلاثين سنة.

ونص الحفاظ والمحدثون على أن أحاديث المهدي فيها الصحيح والحسن ومجموعها متواتر مقطوع بتواتره وصحته.

وان الاعتقاد بخروج المهدي واجب وانه من عقائد أهل السنة والجماعة ولا ينكره إلا جاهل بالسنة ومبتدع في العقيدة...»
 أما النصوص الواردة عن النبي (ص) والمعصومين بطرق مدرسة آل البيت فتتظر الى المسألة ضمن دائرة أوسع وتذهب الى:
 أن (المهدي) هو الامام الثاني عشر من أئمة آل البيت، وهو ابن الامام الحسن العسكري، وهو غائب، وسيظهر في آخر الزمان ليملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وجدير بالذكر إن فكرة الأئمة أو الخلفاء أو الامراء الاثني عشر، لم تقتصر على مدرسة آل البيت، بل وردت فيها نصوص بعبارات مختلفة بطرق مختلفة. وأحصيت الروايات الواردة في هذا الشأن فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة بما في ذلك البخاري ومسلم والترمذي وابي داود ومسنند أحمد ومستدرک الحاكم على الصحيحين.^١
 والعلماء الذين لم يذهبوا مذهب آل البيت في فهم الأئمة الاثني عشر حاروا في تفسير هذا الحديث كما نجد ذلك في شرح مسلم للنوي، وفتح الباري وشرح ابن العربي.^٢

ولابد من الإشارة الى أن فتوى إدارة المجمع الفقهي الاسلامي المذكورة أشارت الى أن «المهدي» هو آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر عنهم النبي صلوات الله وسلامه عليه في الصحاح^٣
 هذا الى جانب أحاديث وردت بطرق إخواننا أهل السنة في أسماء الأئمة الاثني عشر، وفي كون (المهدي) ابن الحسن العسكري، وانه سيغيب، ثم يخرج ويعلى كلمة الله في الارض.^٤

١ - بحث حول المهدي، الشهيد الصدر، من هو المهدي، التبريري.

٢ - راجع مقبلة مرآة العقول، ج ١، العلامة العسكري.

٣ - راجع (الاربعة حديثاً في ذكر المهدي) لابي الفوارس، (فرائد السمطين) للحموني، و(بنايع المودة) للفتنوزي، (المهدي الموعود المنتظر)، نجم الدين العسكري.

٢ - دراسة مسألة (المهدي) من وجهة النظر العقلية:

ذكرنا أنّ فكرة المهدي أقدم من الاسلام وأوسع من إطار الشرائع السماوية، لكن تفاصيل هذه الفكرة في الاسلام وخاصة في مدرسة أهل البيت «جاءت أكثر إشباعاً لكل الطموحات التي انشأت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني. وأغنى عطاء وأقوى إثارة لأحاسيس المظلومين والمعتدين على مرّ التاريخ، وذلك لأن الاسلام «ولّ الفكرة من غيب إلى واقع، ومن مستقبل إلى حاضر، ومن التطلع إلى منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد، المجهول إلى الايمان بوجود المنقذ فعلاً، وبتطلعه مع المتطلعين إلى اليوم الموعود، واكتمال كل الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم».

و هذه القضية تطرح أسئلة متعددة عن العمر الطويل للمهدي، وعن سبب الغيبة، وسبب الانتظار، وعن الدليل العقلي (غير الروائي) لوجود المهدي، وعن كيفية التحول الذي يسفر عنه اليوم الموعود.

هذه المسائل عالجها العلماء بأدلة عقلية وعلمية وبرهنوا عليها سالكين طرق الاستدلال المنطقي والعلمي. وقد يطرح سؤال في هذا الصدد حول سبب طرح المسائل العقلية والعلمية بشأن مسألة ثبتت صحتها في الشريعة بالتواتر.

والجواب هو إنّ الاطمئنان العقلي (القلبي) يعمق الايمان، كما إنّ طريقة معالجة المسائل الدينية الغيبية على صعيد عقلي تصلح أن تخاطب المؤمنين بالغيب بكافة درجاتهم وهكذا غير المؤمنين بالغيب، وهي طريقة يحتاجها الدعاة إلى الله في كافة العصور، وخاصة في العصر الذي تطفئ فيه الروح المادية، ويسود فيه الجذب الإيماني.

حول مسألة (إمكان) طول العمر - وهي أهم مسألة مطروحة على الصعيد العقلي بشأن المهدي القائب المنتظر - يقسم بعض العلماء (الامكان) إلى معانيه

الثلاثة: ١

١ - الامكان العملي: أن يكون الشيء ممكنا على نحو يحتاج لفرد أو لافراد أن يحققوه فعلا، كالصعود الى القمر مثلا.

٢ - الامكان العلمي: وهو أن يكون تحقق الشيء غير مرفوض علميا، ولكنه قد لا يكون ميسورا حاليا، كالصعود الى كوكب الزهرة مثلا، فهذا الصعود لا يرفضه العلم غير أن سبله غير ميسورة حاليا، على العكس من الصعود الى الشمس فسانه غير ممكن عمليا.

٣ - الامكان المنطقي والفلسفي: هو أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية - أي سابقة على التجربة - ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته. فانقسام العدد (٣) الى عديدين متساويين صحيحين مرفوض منطقيا، لان هذا الانقسام من خصائص العدد (الزوج) والعدد ٣ عدد (فردى) ولا يمكن أن يكون العدد زوجيا و فرديا في آن واحد لان ذلك تناقض والتناقض مستحيل منطقيا. بينما صعود الانسان الى الشمس ممكن منطقياً لانه لا يستلزم حدوث تناقض، اذ لا تناقض في افتراض أن الحرارة لا تنسرب من الجسم الاكثر حرارة الى الجسم الاقل حرارة، وانما هو مخالف للتجربة.

من هذا يتبين أن الامكان المنطقي أوسع دائرة من الامكان العملي، وهذا أوسع دائرة من الامكان العلمي.

لاشك في أن امتداد عمر الانسان الآف السنين يمكن منطقيا، لانه لا يستوجب حدوث أي تناقض، وليس مستحيلا من وجهة نظر عقلية تجريدية. والاتجاهات العلمية باجمعها لا ترفض إمكانية إطالة عمر الانسان سواء فسرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء.

١ - الامام الشهيد الصدر، بحث حول المهدي، وقد اعتمدنا في استعراض المنهج العقلي في دراسة مسألة المهدي على هذا الكتاب فهو جامع على إيجازه وصغر حجمه، وعلى الرغم من كونه (مقدمة فقط) على موسوعة تلميذه السيد محمد الصدر، في الامام المهدي.

لأنه من الممكن علمياً تأجيل قانون الشيخوخة بخلق ظروف و عوامل معينة.
من هنا نفهم أنّ طول عمر الانسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً و
ممكن علمياً و لكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق
هذا الامكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء يمكن فهم مسألة عمر المهدي — عليه الصلاة والسلام —
وما أحيط بها من استفهام واستغراب.

و بشأن فوائد هذه الغيبة الطويلة و مبرراتها العقلية ذكر أنها:
١ — إعداد القائد المنتظر إعداداً نفسياً مشحوناً بالشعور بالتفوق والاحساس
بضالة الكيانات الشامخة التي اعدّ (المهدي) للقضاء عليها و لتحويلها حضارياً الى
عالم جديد.

٢ — تعميق الخبرة القيادية في القائد المدّخر لليوم الموعود، عن طريق مواكبة
الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها و تطوراتها.

٣ — ضرورة قرب القائد المنتظر من مصادر الاسلام الاولى و بناء شخصيته
بناء كاملاً بصورة مستقلة و منفصلة عن مؤثرات الحضارة التي قدر لليوم الموعود أن
يحاربها.

و وجود المهدي بالفعل يستدل عليه علمياً بتجربة الغيبة الصغرى، وهي فترة
عاشتها الامة سبعين سنة تقريباً.

و خلال هذه الفترة كان الامام المهدي — عليه السلام — يتصل بالقلوب اعد
الشعبية بشكل غير مباشر عن طريق أربعة نوابهم:

١ — عثمان بن سعيد العمري.

٢ — محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ — أبو القاسم الحسين بن الروح.

٤ — أبو الحسن علي بن محمد السمرى.

وقد مارس هؤلاء الاربعة مهام النيابة بالترتيب المذكور، وكلما مات أحدهم
خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الامام المهدي — ع —.

وكان السمرى آخرهم وأعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التى تتميز بنوآب معينين، وابتداء الغيبة الكبرى التى تحولت النياية فيها الى خط عام وهو خط المجتهد العادل البصير بأمور الدنيا والدين.

وهذه التجربة التى امتدت سبعين سنة مهّدت الجو للغيبة الكبرى ووقت الامة من الصدمة التى قد تشعر بها اذا انقطعت عن الاتصال المباشر بأمامها فجأة. وهذه الفترة بما اتسمت به من متابعة لخط واحد منسجم لالتواء فيه تؤكد مسألة وجود المهدي، إذ منطق الحياة يثبت أن من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش اكلذوبة بهذا الشكل وكل هذه المدة وضمن كل تلك العلاقات بين الامام و نوابه، والاخذ والعطاء، ثم تكتسب ثقة جميع من حولها. و ثمة سؤال آخر يطرح حول سبب امتداد الغيبة و سبب عدم الظهور طيلة هذه المدة.

والجواب: إن نجاح كل عملية تغيير إجتماعى ترتبط بتوفر شروط و ظروف موضوعية.

وقد جرت سنة الله تعالى في عمليات التغيير الربانى على التقيد من الناحية التنفيذية بالظروف الموضوعية التى تحقق المناخ المناسب والجو العام لانجاح عملية التغيير، ومن هنا لم يأت الاسلام الا بعد فترة من الرسل و فراغ مرير استمر قرونا من الزمن.

و عملية التغيير الكبرى هذه لا يكفي فى ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح، والا لتمت شروطها فى عصر النبوة بالذات، وانما تتطلب مناخاً عالمياً مناسباً وجواً عاماً مساعداً يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية.

والشروط الموضوعية لظهور المهدي — عليه السلام — تتوفر على الصعيد البشرى بشعور انسان الحضارة بسلبات البناء الحضاري القائم و حاجته الى العون ملتفتاً بفطرته الى الغيب أو الى المجهول.

و تتوفر على الصعيد المادى بتطور الوسائل المادية الحديثة الى درجة توفير

الادوات والوسائل التي يحتاجها جهاز مركزي لممارسة توعية شعوب العالم و
تثقيفها على أساس الرسالة الجديدة.

ما هي أهم الوسائل المطروحة على المنهج العقلي في دراسة مسألة
الديني استعرضتها كما ذكرنا من المقدمة التي كتبها الإمام الشهيد محمد باقر
المستدرس في خمس عشرة سنة على موضوع تلميذه السيد محمد باقر، وهذه الموسوعة
تكفلت بمعالجة المسألة على كافة الأصعدة بشكل واف و عميق.

٣ - دراسة مسألة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ

و هذا الكتاب الذي بين يدي القاريء نموذج لمثل هذه الدراسة.
وقبل ان أستعرض منهج الكتاب، لابد ان أشير الى مسألة دأب على ذكرها
علماء الاجتماع الغربيون وتلاميذهم من المسلمين - مع الاسف - عند حديثهم عن
مسيرة التاريخ.

حين يستعرض هؤلاء التفاسير المختلفة لمسيرة التاريخ أو مسيرة المجتمع
البشري يتحدثون عن «التفسير الديني لمسيرة المجتمع» باعتباره واحداً
من الاتجاهات التشاؤمية لتفسير المسيرة البشرية؟

و حجتهم في ذلك قصة آدم، المذكورة في الكتب السماوية. وهذه القصة
تذهب - على حد قول الغربيين والمغربين - الى أن آدم (وهو رمز لبني الانسان)
كان يعيش في الجنة رغداً آمناً منعماً لكنه ارتكب خطيئة أدت به الى أن يطرد من الجنة،
ويلقى هو واولاده النصب والعناء في هذه الدنيا، ومن هنا فالحياة البشرية، في النظرة
الدينية، محكوم عليها بالارهاق والتعب والنصب، ولأراحة لبني البشر الآ بالعودة الى
الجنة التي أخرج أبوهم منها.

هذا اللون من الفهم لقصة آدم قد ينسجم مع تفاسير الكنيسة المسيحية و عرض

١ - راجع تاريخ الغيبة الصغرى، تاريخ الغيبة الكبرى، تاريخ مابعد الظهور، اليوم الموعود.

٢ - راجع «مسيرة المجتمع» عبد الجليل الطاهر.

الانجيل الموجودة، لهذه القصة، لكنه بعيد كل البعد عن الفهم الاسلامي القرآني لها.

لا يمكن في هذه المقدمة استعراض تفاصيل قصة آدم من وجهة النظر القرآنية، و معطياتها والدروس العظيمة المستخلصة منها، فاكثفي بذكر بعض آيات هذه القصة وجانب من دروسها بقدر ما يتعلق الامر بمستقبل المسيرة البشرية.

قال تعالى:

«وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَيْنِيسَىٰ وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْماً. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ. وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ. فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ: يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ. فَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاتِنُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ. قَالَ: اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَٰأَيُّهَا النَّاسُ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكِي...» / طه: ١١٦-١٢٥

الآيات تتحدث أولاً عن مكانة آدم في الوجود، وهي مكانة استحق فيها أن تسجد له الملائكة، لانه خليفة الله كما تذكر آيات أخرى.

وقصته في الجنة هي قصة مرور الممثل الاول للانسانية التي استخلفها الله تعالى على الارض بفترة حضانية استثنائية — على حد تعبير الشهيد الصدر — لتنمويه مؤهلات ممارسة الخلافة على الارض من ناحية فهم الحياة ومشاكلها المادية، ومن ناحية مسؤولياتها الخلقية والروحية.

«وقد استطاعت المعصية التي ارتكبها آدم بتناوله من الشجرة المحرمة أن تحدث هزة روحية كبيرة في نفسه و تفجر في أعماقه الاحساس بالمسؤولية من خلال مشاعر الندم... وبهذا تكامل وعيه في الوقت الذي كانت قد نضجت لديه خبرات

الحياة المتنوعة.

و تعلم الاسماء كلها فحان الوقت لخروجه من الجنة الى الارض التي استخلف عليها ليمارس مسيرته نحو الله من خلال دوره في الخلافة».

لقد خرج وهو محمل بتجربة عظيمة أوضحت له ضرورة الالتزام بهدى الله وعدم الانحراف عن الطريق الذي رسمه رب العالمين لبنى الانسان. ومساعدات البشرية سائرة على هذا الطريق فانها لا تفضل ولا تشفى، لكنها إن انحرفت، ثمنى بمعيشة ضنكى.

ليست الانسانية محكومة بالضلال والشقاء إذن، بل إن الله هدى البشرية فطرياً وزودها بتجربة ذاتية نحو السعادة الحقيقية.

ومتى ما انحرفت المسيرة هياً الله من يوجه البشرية نحو سعادتها الحقيقية و يكون (شاهداً) عليها.

وبشأن مستقبل المسيرة البشرية يطرح علماء الاجتماع الغربيون والمغتربون الماركسية باعتبارها مدرسة تفاؤلية فسرت المسيرة ومستقبلها تفسيراً يبعث على الامل في المستقبل و يبشر بمجتمع تزول فيه كل ألوان الظلم والاستغلال.

والاستاذ الشهيد مطهري يطلق على التفسير المذكور للتاريخ اسم «التفسير الآلي» لانه يتخذ من تطور وسائل الانتاج أساساً لتفسير كل ظواهر التاريخ والمجتمع.

ثم يطرح مقابل ذلك «التفسير الانساني» لمسيرة التاريخ، و يبين خصائص كل واحد من هذين التفسيرين، و تناط التقائهما و افتراقهما.

ثم يوضح إن التفسير الاسلامي لمسيرة التاريخ هو «تفسير إنساني» وهنا تجدر الإشارة الى أن الاستاذ الشهيد لا يعالج في هذا الكتاب مسألة فلسفة التاريخ الا بقدر ما يتعلق بمسألة انتظار (المهدي) — عليه السلام — مؤكداً أن هذا الانتظار (في الاطار الاسلامي الصحيح) ينبغي أن يكون بقاءاً حركياً من اجل التمهيد للمستقبل المشرق، الذي وعد الله تعالى به البشرية إذ قال:

«و نريد أن نؤمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمةً و نجعلهم

الوارثين»..

«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ».
 رافضاً بذلك النظرة التقاعسية الانتكالية للانتظار، التي تقف موقف المتفرج من استفحال الانحراف والفساد والطاغوت على ظهر الأرض، إنظاراً لحديث معجزة التغيير.

و يؤكد الاستاذ الشهيد أن ظهور المهدي أو ظهور الدولة الإسلامية العالمية يسبقه سلسلة من الانتفاضات والنهضات التي تمهد لظهور ذلك المجتمع الانساني العالمي، وتدعم جبهة انصار الحق في صراعها مع جبهة الباطل.
 ويخلص الاستاذ الشهيد من بحثه الى أن «المهدي المنتظر تجسيد لاهداف الانبياء والصالحين والمجاهدين على طريق الحق».

لقد كرّر الاستاذ الشهيد تفاؤله - في غير هذا الكتاب - بأن الثورة الإسلامية في إيران ستكون - بإذن الله تعالى - طليعة بزوغ فجر ذلك اليوم الموعود، الذي تتحقق فيه آمال الانسانية المعذبة المضطربة المتطلعة الى غد تندر فيه حصون الطغاة والمتجبرين و يتحقق وعد الله للمستضعفين.

والحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده، ونسأله تعالى إتمام النعمة... انه نعم المولى و نعم النصير.

محمد علي

١٨ ج ٢-١٤٠١ هجرية



بسمه تعالى

الفرق والمذاهب الاسلامية تُجمع - مع اختلاف طفيف بينها - على حتمية انتصار قوى الحق والعدالة والسلام فى صراعها مع قوى الباطل والظلم والعدوان فى نهاية المطاف. وتؤمن بغد يشع فيه نور الاسلام على جميع ربسوع المعمورة، وتسود فيه القيم الانسانية سيادة تامة، ويتحقق ظهور المدينة الفاضلة والمجتمع الأمثل.

المسلمون يجمعون أيضا أن هذه الآمال الانسانية الكبيرة ستتحقق على يد شخصية مقدسة أطلقت عليها الروايات الاسلامية اسم «المهدي».

هذه الفكرة تنطلق أساسا من المفاهيم القرآنية التي تؤكد على حتمية انتصار رسالة السماء^١ وحتمية انتصار الصالحين^٢ والملتقين، وحتمية انهزام قوى الظلم والطغيان^٣ وحتمية بزوغ فجر غد مشرق سعيد على البشرية^٤

(١) هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. التوبة/٣٣، الصف/٩.

(٢) ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون. الانبياء/١٠٥.

(٣) ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم فى الارض، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون. القصص/٥.

(٤) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا، ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. الاعراف/١٣٨.

هذه الفكرة تنطوي قبل كل شيء على نظرة تفاؤلية تجاه المسيرة العامة للنظام الطبيعي وتجاه مسيرة التاريخ، وتبعث الأمل فى المستقبل، وتزيل كسل النظرات التشاؤمية بالنسبة لما تنتظره البشرية فى آخر تطلعاتها.

انتظار الفرج

الأمل فى تحقق هذا الهدف الانساني العالمي، ورد فى الروايات الاسلامية بعبارة «انتظار الفرج»، واعتبر الاسلام هذا الانتظار عبادة بل من أفضل العبادات. مبدأ انتظار الفرج يمكن استنباطه من مفهوم قرآني آخر هو «حرمة اليأس من رَوح الله».

المجموعة المؤمنة بالنصر الالهي لاتفقد الأمل مهما قست الظروف ولا تسلم نفسها لليأس والعبث باي حال من الاحوال. مفهوم انتظار الفرج وعدم اليأس من رَوح الله من المفاهيم الاسلامية الشاملة التي لاتختص بفرد معين أو جماعة محددة، فهو يحمل البشائر للبشرية بأجمعها، ويحمل معه أيضا صفات محددة لهذه البشائر.

نوعان من الانتظار

انتظار الفرج، والتطلع الى مستقبل أفضل على نوعين:
الاول: انتظار مشرئ يبعث على الالتزام ويمنح القوة والتحرك، ومثل هذا الانتظار يمكنه أن يكون نوعا من العبادة وطريقا لطلب الحق.
الثاني: انتظار محرم هدام يؤدي الى الوقوع فى الأغلال والى شل الطاقات، ويمكن اعتباره نوعاً من «الاباحية» كما سنوضح ذلك فى آخر هذا البحث.
هذان النوعان من الانتظار ينطلقان من انطباعين مختلفين عن ظهور المهدي

الموعود. وهذان الانطباعات بدورهما ناشئان عن رؤيتين متباينتين للتطورات والتغيرات التاريخية. من هنا يلزمنا أن نلقي بعض الضوء على طبيعة مجرى الاحداث التاريخية.

شخصية المجتمع وطبيعته

هل التطورات التاريخية سلسلة من الامور الطبيعية أم مجموعة من الاحداث التي تتحكم فيها الصدفة والاتفاق؟

الطبيعة خالية طبعاً من الصدفة الواقعية، أي خالية من بروز أو حدوث ظاهرة ليست لها علة. لكن الصدفة موجودة بشكل نسبي قطعاً.

لو خرجت صباح أحد الايام من بيتك، وشاهدت صديقاً لك لم تره منذ سنين وهو يمر من أمام بيتك، فانك ستقول: ان هذا اللقاء حدث بطريق المصادفة والاتفاق. لماذا؟.. لأن طبيعة الخروج من البيت - بشكل عام - لا تستلزم مثل هذا اللقاء. ولو استلزم ذلك لالتقيت بهذا الصديق كل يوم.

نحن اذن نطلق اسم «الصدفة» على كل ظاهرة لا تنسجم علتها مع الطبيعة العامة لعلة تلك الظاهرة.

ما يحدث بالصدفة لا يخضع لضوابط عامة، وللقوانين العلمية، اذ ان القوانين العلمية تعبر عن الاحداث العامة للطبيعة.

نعود الى السؤال الذي طرحناه آنفاً..

رب قائل: ان احداث التاريخ هي سلسلة من الصدوف والاتفاقات، أي انها لا تنضبط تحت قاعدة عامة.. هذه المقولة تعني: أن المجتمع عبارة عن مجموعة من أفراد ذوي طبائع فردية شخصية. وما يقوم به هؤلاء الافراد من نشاطات نابعة من: واقعهم الفردية الشخصية، يؤدي الى سلسلة من المصادفات والاتفاقات.. وهذه دورها تؤدي الى التغيرات التاريخية.

هذه نظرة..

والنظرة الاخرى ترى أن للمجتمع وجوده وشخصيته المستقلة عن الافراد، وله مسيرته التي تقتضيها طبيعته وشخصيته. فشخصية المجتمع هي غير شخصية الافراد، والشخصية الواقعية والحقيقية للمجتمع تركيب مكون من التفاعل الثقافي للافراد كسائر التراكيب المشهودة في الطبيعة الحية والجامدة. المجتمع — بناء على هذا — له طبيعته وقواعده وضوابطه الخاصة التي تؤطر مسيرته، وهذه المسيرة بكل ما فيها من أفعال وردود أفعال انما تقوم على أساس قوانين كلية عامة.

لا يمكن أن تكون للتاريخ فلسفة ولا قواعد ولاضوابط عامة، ولا بمقدوره أن يكون موضوعا للفكر وأساسا للدراسة والتذكر والاعتبار ما لم يكن للمجتمع شخصية مستقلة وطبيعة خاصة.

وان افتقد المجتمع هذه الشخصية المستقلة تحول التاريخ الى تعبير عن حياة مجموعة من الافراد، وفقد عطاءه التربوي. وان كانت في مثل هذا التاريخ عظة وعبرة، اقتصرت العظة والعبرة على الحياة الفردية ولاستعدادها الى حياة الشعوب والجماعات.

فهنا لاحداث التاريخ يقوم اذن على اساس فهمنا لشخصية المجتمع وطبيعته.

القرآن والتاريخ

مسألة «انتظار الفرج» التي نريد معالجتها في هذا البحث دينية اسلامية، ذات جذور قرآنية، اضافة لما لها من طابع فلسفي واجتماعي. ينبغي على هذا أن نوضح رأي القرآن في المجتمع وأحداثه وتطوراته قبل البحث في مسألة الانتظار. ليس ثم شك في أن القرآن الكريم يذكر التاريخ على أنه مصدر للتذكر والتفكير ولتلقى العبرة والدروس. لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد يدور

حول طبيعة النظرة القرآنية للتاريخ، أهى نظرة فردية أم اجتماعية؟ هل ينطلق القرآن فى طرح العبر والدروس من حياة الافراد أم من حياة الجماعات؟
 وإذا كان القرآن يتجه فى سرده للتاريخ الى حياة الجماعات لا الافراد.. فهل هذا يعني أن القرآن يعتبر المجتمع شخصية مستقلة مدركة، ذات قوة وشعور، ومستقلة عن حياة الافراد؟

وإذا كان جواب السؤال الاخير ايجابيا، فهل نستطيع أن نستنبط من القرآن الكريم السنن والقوانين التي تحكم المجتمعات؟
 هذه المواضيع تحتاج الى دراسات وافية وتتطلب تدوين رسالات مستقلة.
 نستطيع هنا أن نشير بشكل موجز جدا الى أن القرآن ينطلق فى قسم من دروسه وعبره — على الاقل — من حياة الامم والجماعات.
 «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^٢

القرآن يطرح مراراً مسألة حياة الامم وأجالها فيقول مثلاً:
 «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ»^٣
 القرآن الكريم يرفض بشدة النظرة العنصرية الى التاريخ ويشدد على وجود قواعد ثابتة دائمة لمسيرة الامم والجماعات فيقول:
 «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا»^٤

القرآن يشير الى مسألة تربية هامة فى حقل القوانين التي تحكم التاريخ حين يؤكد أن البشرية هي التي ترسم بيدها مصيرها عن طريق ما تقوم به من أعمال صالحة أم طالحة.

(١) راجع تفسير (الميزان)، الجزء ٤ ص ١٠٣، الجزء ٧ ص ٣٣٣، الجزء ٨ ص ٨٥، الجزء ١٠ ص ٧١-٧٣، الجزء ١٨ ص ١٩١.
 (٢) البقرة، ١٣٤ و ١٤١.
 (٣) الاعراف ٣٤، والنحل ٦١.
 (٤) فاطر، ٤٣.

وهذا يعني أن النظرية القرآنية تذهب الى أن قوانين المسيرة البشرية ماهي الاسلسلة من ردود الفعل لما تفعله الاقوام والجماعات.
 من هنا نفهم أن النظرية القرآنية تؤكد على وجود قوانين ونواميس كونية ثابتة لمسيرة التاريخ، كما تؤكد في الوقت ذاته على دور الانسان وحرية واختياره.
 في القرآن الكريم آيات كثيرة بهذا الصدد، نذكر منها على سبيل المثال الآية ١١ من سورة الرعد:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»

تفسير تكامل التاريخ

المدرسة الفكرية التي تنظر الى المجتمع باعتباره موجودا ذا شخصية مستقلة وطبيعة خاصة، لها نظرتها المعينة أيضا الى تكامل المجتمع، ولها تفسيرها الخاص لطبيعة المسيرة البشرية ولمسألة التكامل.
 مربنا أن القرآن الكريم يؤكد على شخصية المجتمع وواقعيته، كما يؤكد أيضا على الاتجاه الارتقائي التكاملي للمجتمع.
 ومن جهة اخرى نعلم أن ثمة مدارس فكرية اخرى تذهب ايضا الى أن مسيرة البشرية تسير سيرا ارتقائيا تفرضه حتمية التاريخ.
 من هنا كان لزاما علينا أن نلقي الضوء على الفرق بين النظرة القرآنية في هذا المجال ونظرة بعض المدارس الفكرية الاخرى، وأن نفهم من خلال ذلك دور الانسان ومسؤوليته لنستجلي من ذلك كله طبيعة «الانتظار الكبير» وكيفيته.

طريقتان مختلفتان

تكامل التاريخ يمكن تفسيره بطريقتين مختلفتين: احدى هاتين الطريقتين نطلق عليها اسم التفسير «الآلي» أو الديالكتيكي.
 والطريقة الاخرى: التفسير «الانساني» أو «الفطري». ومن هاتين الطريقتين

المتباينتين لتفسير تكامل التاريخ ينبثق اتجاهان فكريان مختلفان شكلا وماهية. نستعرض فيما يلي هاتين الطريقتين بقدر ما يتعلق الموضوع بمسألة «الانتظار» و «الأمل» بالمستقبل لاكثر.

الطريقة الديالكتيكية او الآلية

هذه الطريقة تفسر تكامل التاريخ على أساس الصراع بين النقااض. وأولئك الذين يتخذون من هذه الطريقة وسيلة لتفسير تكامل المسيرة البشرية لا يقتصرون على التاريخ بل يفسرون كل اجزاء الطبيعة على هذا الاساس. نشير فيما يلي بشكل موجز الى التفسير الديالكتيكي للطبيعة بأعتباره أساسا للتفسير الآلي للتاريخ.

يقوم التفسير الديالكتيكي للطبيعة على الاسس التالية:
اولا: الطبيعة فى حركة مستمرة ودائمة، وليس فيها ما هو ساكن وثابت، فالنظرة الصحيحة للطبيعة اذن هي أن نرى الاشياء فى حالة حركة وتغير دائمين، والفكر هو أيضا متغير بأعتباره جزءا من الطبيعة.

ثانيا: كل جزء من اجزاء الطبيعة يتأثر باجزاء الطبيعة الاخرى ويؤثر فيها. فهناك ارتباط عام بين جميع الاجزاء، وعلى هذا فالنظرة الى الطبيعة لاتكون صحيحة مالم تدرس جميع الاشياء وهي مرتبطة مع بعضها، لامفككة ومجزأة.

ثالثا: الحركة ناشئة عن صراع النقااض. فكما قال «هرقليطس» اليوناني قبل خمس وعشرين قرنا: الصراع أساس كل تطور.

وصراع النقااض يأتي عن طريق اتجاه كل ظاهرة نحو ضدها ونقيضها، وهذه الظاهرة تحمل نقيضها معها. فكل ظاهرة موجودة ومعدومة فى آن واحد. لأنها تحمل عوامل عدمها وفنائها معها.

ومع نمو النقيض يحتدم الصراع بين الظاهرة الأصلية التي نريد الحفاظ على وضعها ووجودها، وبين نقيضها الذي يريد أن يبدلها الى ضدها.

رابعاً: الصراع بين النفاض داخل الظواهر يزداد شدة باستمرار حتى يبلغ ذروته، أي أن التغيير الكمي يزداد ليلبلغ أقصى حد ممكن، وحينئذ تحدث طفرة ثورية في التغييرات الكمية لتتحول إلى تغييرات كيفية، وينتهي الصراع لصالح القوى الجديدة، وتندحر القوى القديمة ويتبدل الشيء بآجمعه إلى نقيضه.

فهذه الطريقة لفهم الوجود تتلخص إذن في افتراض قضية أولى وجعلها أصلاً وهي ما يطلق عليها اسم «الاطروحة» ثم ينقلب هذا الأصل إلى نقيضه وهو «الطباق» بحكم الصراع في المحتوى الداخلي بين المتناقضات، ثم يأتلف النقيضان في وحدة وهي «التركيب». وتصبح هذه الوحدة بدورها أصلاً ونقطة انطلاق جديدة، وهكذا يتكرر هذا التطور الثلاثي وبهذا الشكل تطوي الطبيعة مراحل تكاملها.

فالتبيعة ليست هادفة ولا تنشئ كمالها، بل تتجه نحو انهدامها، لكن هذا الانهدام يحمل بدوره عنصر انهدامه، وكل نقيض يتجه بدوره نحو نقيضه.. ونفي النفي نوع من التركيب الذي يؤدي إلى دفع التاريخ نحو التكامل بشكل حتمي وجبري.

والتاريخ جزء من الطبيعة، وهو لذلك يطوي نفس مسيرة الطبيعة على الرغم من أن عناصر المسألة التاريخية هم أفراد البشر.

أي أن التاريخ تحرك مستمر وارتباط متبادل بين الإنسان والطبيعة، والإنسان والمجتمع.. وهو مواجهه جدل دائم بين المجموعات الإنسانية الفتية، والمجموعات التي تتجه نحو الزوال.. وهذه المواجهة تؤدي في نهاية الأمر إلى حركة حادة ثورية لصالح القوى المنتهية النامية.

بعبارة أخرى: التاريخ مسرح لصراع الاضداد.. حيث تتجه كل ظاهرة نحو ضدها ثم يتم التكامل على أثر تركيب الاضداد. هذه النظرية تذهب بعد ذلك إلى أن العمل الانتاجي هو أساس حياة البشرية والعامل المحرك للتاريخ.

فالعمل الاجتماعي في أية مرحلة من مراحل التاريخ يخلق نوعاً خاصاً من العلاقات الاقتصادية بين الأفراد. وهذه العلاقات الاقتصادية تؤدي إلى انبثاق

مجموعة من العلاقات الاخرى كالعلاقات الخلقية والسياسية والقضائية والعائلية ونظائرها.

والعمل الانتاجي لا يتوقف على شكل معين، اذ ان الانسان مزود بقدره على تطوير وسائل الانتاج. وتكامل وسائل الانتاج يؤدي الى زيادة الانتاج والى خلق جيل جديد يحمل افكارا جديدة متكاملة.. أي ان هناك تأثيرا متبادلا بين الانسان والآلة، الانسان يخلق الآلة، والآلة تخلق الانسان الجديد. ومن جهة أخرى، زيادة الانتاج تؤدي الى ايجاد علاقات اقتصادية جديدة، ومن هذه العلاقات الاقتصادية الجديدة تنبعث مجموعة أخرى من العلاقات الاجتماعية. وهذا هو المقصود من مقولة: الاقتصاد يشكل البناء التحتي للمجتمع، وكل ما عداه فهو بناء فوقي. أي ان جميع الاوضاع الاجتماعية معلولة للموضع الاقتصادي.

وعندما يتغير البناء التحتي على أثر تطور وسائل الانتاج تتغير كل الابنية الفوقية. وفي هذه الحالة تحاول القوى التي ترتبط مصالحها بالموضع الاقتصادي القديم ان تحافظ على هذا الوضع بشكله الموجود، لكن الطبقة الفنية المرتبطة بوسائل الانتاج الجديدة ترى أن مصالحها تقتضي تغير الاوضاع واحلال نظام اقتصادي جديد، ومن هنا تسعى الى تغير المجتمع وتطويره والى ايجاد نوع من التناسق بين المسائل الاجتماعية من جهة ووسائل الانتاج المتكاملة ومستوى الانتاج الجديد من جهة أخرى.

ويستمر الصراع بين الفريقين: فريق رجعي ومرتبطة بالماضي، والآخر تقدمي يرتبط بالمستقبل. احدهما يرى ضرورة بقاء الاوضاع الموجودة من اجل استبقاء وجوده. والآخر: يسعى نحو اجواء جديدة وأوضاع جديدة: أحدهما: يستجه نحو الزوال، والآخر: نحو النمو.

ويشتد هذا الصراع ويحتدم ليلبغ ذروته حيث يحدث الانفجار، ويستبدل المجتمع في خطوة ثورية تبديلا يتمثل بتغير النظام القديم واحلال النظام الجديد وانتصار القوى الجديدة وفشل القوى القديمة.

وهنا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل التاريخ، وهذه المرحلة الجديدة تتطور

أيضا الى مرحلة جديدة أخرى بنفس الطريقة السابقة.
فالتاريخ فى مفهوم هذه النظرية يطوي مسيرته عبر الاضداد. وكل مرحلة من
مراحل التاريخ تجل فى أحشائها المرحلة التالية. وبعد صراع مستمر تترك المرحلة
السابقة مكانها للمرحلة التالية.

هذا الاتجاه الفكرى لتفسير الطبيعة والتاريخ يسمى الاتجاه الديالكتيكى.
ولما كان هذا الاتجاه يعتبر كل القيم والاضداد الاجتماعية فى جميع مراحل
التاريخ مرتبطة بوسائل الانتاج وتابعة لها، فقد أطلقنا عليه اسم «التفسير الآلى» ومتى
ما ذكرنا مصطلح «التفسير الآلى للتاريخ» فاننا نقصد به هذا اللون من التفكير.

العنصر الاساسى

ما هو العنصر الاساسى الذى يمتاز به التفكير الديالكتيكى فى حقل التاريخ
والطبيعة؟

ما هو الفرق الرئيسى بين هذا الاتجاه وهذا المنطق، والاتجاهات الفكرية
والمنطقية الاخرى.

ما الذى يميز هذا التفسير للظواهر الطبيعية عن التفسير الذى يطلق عليه
ارباب المنطق الديالكتيكى اسم «التفسير الميتافيزيقى»؟

دعاة المنطق الديالكتيكى يتبعون مع الاسف طريقة «الغاية تبرر الوسيلة» فى
عرض المفاهيم، وهم لذلك يلقون التهم تلو التهم على ما يسمونه بالمنطق
الميتافيزيقى، عند اجابتهم على الأسئلة المذكورة.

ويقولون أيضا: ان التفكير الديالكتيكى ينظر الى جميع الاشياء باعتبارها
متحركة، بينما يعتبر الاتجاه الميتافيزيقى جميع اجزاء الطبيعة ساكنة جامدة.

لكن الحقيقة غير ذلك، فأرباب الاتجاه الميتافيزيقى لا ينظرون الاشياء
باعتبارها جامدة غير متحركة، بل بالعكس فالبحوث المتعلقة بالطبيعة فى الفلسفة
الالهية ترى أن السكون فى الطبيعة مفهوم نسبي والثبات مسن خصائص مساوراء

الطبيعة^١.

ويقولون أيضا: ان التفكير الديالكتيكي يعتبر الاشياء مرتبطة مع بعضها وذات تأثير متبادل على بعضها. بينما اصحاب ما يسمى بالمنطق الميتافيزيقي ينظرون الى الاشياء مفككة غير مترابطة مع بعضها.

وهذا مخالف للواقع، فما يسمونه بالمنطق الميتافيزيقي لا ينظر الى الاشياء باعتبارها منفصلة مفككة عن بعضها^٢.

والفلاسفة الالهيون اول من نظر الى أجزاء العالم باعتبارها مرتبطة مع بعضها ارتباطا عضويا، والى العالم على أنه انسان كبير، والى الانسان على أنه عالم صغير، مع فارق في التعبير وطريقة الاستنتاج بين الماديين والالهيين في هذا الصدد. ويقولون كذلك: ان المسألة الاساسية التي تميز التفكير الديالكتيكي عن التفكير الميتافيزيقي هي مسألة التضاد.

ويستند هؤلاء الى المبدأ المعروف في المنطق والفلسفة القائل بعدم امكان اجتماع النقيضين وارتفاعهما ليستنتجا: أن التفكير الميتافيزيقي يرفض أي نوع من التناقض وانه يرى جميع أجزاء الطبيعة منسجمة مع بعضها حتى الماء والنار وأن ارباب التفكير الميتافيزيقي يدعون القوى الاجتماعية الكادحة المسحوقة — انطلاقا من رؤيتهم هذه — الى المصالحة والمسالمة «كذا»

والحقيقة أن المبدأ المذكور لا علاقة له اطلاقا بمسألة التناقض، وهذا اللون من الاستنتاج تحريف للحقائق.. فاصحاب التفكير الالهي يرون أن التضاد في عناصر الطبيعة شرط لازم لدوام الفيض من الباري تعالى^٣.

ويدعون أيضا: أن العنصر الأساسي الذي يمتاز به التفكير الديالكتيكي في

(١) للتوسع في هذا الصدد راجع «فلسفتنا»: محمد باقر الصدر، فصل «حركة التطور» (المترجم).

(٢) راجع نفس المصدر، فصل «الارتباط العام» (المترجم).

(٣) كتب المؤلف الشهيد مقالا قيما في هذا الحقل تحت عنوان «اصل التضاد في الفلسفة الاسلامية»، عسى ان اوفق لنشر ترجمته العربية قريبا. (المترجم).

حقن التاريخ والطبيعة هو مبدأ قفزات التطور والحركات الثورية فى التاريخ.
لكن هذا الادعاء مرفوض أيضا لان مسألة قفزات التطور ليست لها أصالة فى
التفكير الديالكتيكي.

هيجل - أبو الديالكتيك - لم يذكر هذا المبدأ ضمن مبادئ الديالكتيك،
وهكذا كارل ماركس.

ظهر مبدأ قفزات التطور خلال القرن التاسع عشر فى علم الاحياء وأضافه
أنجلس - تلميذ ماركس - الى مبادئ الديالكتيك، واليوم يعتبر هذا المبدأ من
قوانين علم الاحياء، وليس له ارتباط بأية مدرسة فكرية.
فما هو العنصر الأساسي اذن؟

العنصر الاساسي الذي يمتاز به هذا الاتجاه الفكري عن غيره من الاتجاهات
يتلخص بمايلى:

١ - قوله بديالكتيكية الفكر: أي ان الفكر الانساني جزء من الطبيعة، وهو
بالتالي خاضع لقوانين الديالكتيك الاربعة: «حركة التطور - وتناقضات التطور
- وقفزات التطور - والارتباط العام». والاتجاه الديالكتيكي ينفرد فى هذا، ولا
يشاركه فيه اتجاه آخر.

٢ - تحديده للتناقض بالانتقال من الاطروحة الى التطبيق ومنه الى التركيب،
أي ان الديالكتيك يفهم التناقض بانه ضرورة احتواء كل ظاهرة على ضدها، ثم
انتقال تلك الظاهرة الى حالة الضد، وهذه الحالة الجديدة تستمر فى التطور على
نفس الطريقة. وبذلك فالطبيعة والتاريخ يطويان مسيرتهما عبر الاضداد. والتكامل
فى رأي الديالكتيك هو اجتماع الضدين فى تركيب جديد.

مبدأ التناقض قديم، وهو يعني أن أجزاء الطبيعة فى حالة صراع بل واحيانا
فى حالة تركيب مع بعضها. وما أضافه الفكر الديالكتيكي الى هذا المبدأ هو أن
الصراع بين المتناقضات لا يقتصر على أجزاء الطبيعة، بل ان كل ظاهرة تربى فى
أحشائها نقيضها، وتبرز ظاهرة التناقض بالصراع بين العوامل الجديدة.

هاتان الخاصيتان تشكلان العنصر الاساسي للفارق بين التفكير الديالكتيكي

والتفكير غير الديالكتيكي.

ومن الخطأ - بناء على ما تقدم - اضافة صفة الديالكتيك على كل مدرسة تؤمن بمبدأي الحركة والتناقض بين أجزاء الطبيعة.
لقد حاول البعض وصف الفكر الاسلامي بأنه فكر ديالكتيكي بعد أن شاهدوا مبدأ الحركة والتغير والصيرورة وكذلك مبدأ التناقض في التراث الاسلامي.
والحقيقة غير ذلك، فالفكر الاسلامي يؤمن بوجود حقائق ثابتة خالدة غير قابلة للتغير، وهذا ما لا يؤمن به الفكر الديالكتيكي الذي يعتبر كل ما في ذهن من حقائق عن العالم انما هي مؤقتة ونسبية.

اضافة الى ذلك؛ فالتناقض في التراث الاسلامي يتعارض مع مفهوم التناقض الديالكتيكي الذي يحصر حركة التاريخ والطبيعة بالسير عبر مثلث «الاطروحة والطباق والتركيب»

هذا الخطأ ناشئ بالدرجة الاولى من التهريج الذي يعمد اليه كثير من أتباع المادية الديالكتيكية حين يطلقون في احاديثهم اسم الاتجاه الميتافيزيقي على كل اتجاه فكري غير ديالكتيكي، ثم يرشقون هذا الاتجاه الميتافيزيقي بوابل من التهم كعدم الايمان بالحركة وبالارتباط العام وبالتناقض.

هذه التهم تُطرح ضمن ثروة لغوية مسهية وبعبارات قاطعة حاسمة تدفع بقارئها السطحي الى الايمان بان الحركة والارتباط العام والتناقض مباديء يختص بها الفكر الديالكتيكي وحده لاغير.

ومثل هذا القاريء يتخذ تجاه الفكر الاسلامي احد موقفين خاطئين: اما أن يضع الاسلام باعتباره ديناً سماوياً الى صف الافكار الميتافيزيقية «غير الديالكتيكية» ويخرج بنتيجة سريعة هي: ان الفكر الاسلامي كسائر الافكار الميتافيزيقية يقوم على أساس الثبات والسكون وعدم وجود ارتباط عام بين أجزاء الطبيعة وعدم وجود تناقض بين هذه الاجزاء.

واما أن يكون هذا القاريء مطلعاً على الفكر الاسلامي وعالماً بخلو هذا الفكر مما يُتهم به الفكر الميتافيزيقي، بل بوجود مباديء الحركة والارتباط العام والتناقض

فى الفكر الاسلامى، فيستنتج من ذلك أن التفكير الاسلامى ليس بميتافيزيقي. ولما كان دعاة المادية الديالكتيكية قد أوحوا له أن الاتجاهات الفكرية لتفسير الطبيعة لا تزيد على اثنين: الديالكتيكي والميتافيزيقي، فان مثل هذا القاريء يضيف صفة الديالكتيكية على الفكر الاسلامى.

هذه الاخطاء التي يقع فيها القاريء السطحي ناتجة — كما قلنا — عن تساهل دعاة المادية انديالكتيكية فى عرض أفكار الآخرين وعن انتهاجهم اسلوب التهريج والقاء التهم بالنسبة للاتجاهات الفكرية غير الديالكتيكية، وحقيقة المسألة — كما ذكرنا — هي غير ذلك.

نتائج الاتجاه الآلى لتفسير التاريخ

١ — مفهوم القديم والجديد:

تعبير القديم والجديد فى المنطق الديالكتيكي لا ينطلق من تعاقب جيلي، أي لا يعنى المجابهة بين الجيل الجديد والجيل القديم. لا يعنى أن الجيل الجديد يقف بالضرورة فى صفوف الجبهة الثورية، ولا يعنى أيضا أن الجيل القديم يقف بالضرورة فى الجبهة المحافظة.

كما ان هذا المفهوم لا ينطلق من اطار ثقافي، أي انه لا يعنى المجابهة بين المثقفين والاميين.

بل انه مفهوم اجتماعي واقتصادي بحت.

فالطبقة القديمة هي التي ترتبط مصالحها بالوضع الموجود، والطبقة الجديدة هي الناقمة على الوضع الموجود، وهي التي فرضت عليها وسائل الانتاج الجديدة أن ترى الاوضاع الموجودة معارضة لمصالحها وأن تسعى الى تغيير البناء الفسوقي للمجتمع.

فالتقدمي فى رأي هذا الاتجاه هو نصير تغيير الاوضاع الموجودة وتكامل

المجتمع.. والرجمي هو الذي يطالب بالثبات وبقاء الاوضاع الاجتماعية على ما هي عليه.

الطبقة المرفهة والمنتفعة من الاوضاع الموجودة هي رجعية جامدة الفكر بالضرورة، لأن محتوى التفكير الاجتماعي للأفراد يتكون من خلال مكانتهم الطبقة وظروفهم الاقتصادية، وبنفس السبب فالطبقة المسحوقة المستثمرة تقدمية ذات فكر متطور متحرك. وهذه مسألة لا علاقة لها بالمعلومات والثقافة. فالحركة الاجتماعية تبدأ غالباً من الفئات والطبقات ذات المستوى العلمي الهابط، لكن هذه الفئات مثقفة لمكانتها الطبقة.

٢ - التسلسل المنطقي للتاريخ:

المراحل التاريخية - في المنطق الديالكتيكي - مرتبطة مع بعضها ارتباطاً طبيعياً ومنطقياً. وكل حلقة من حلقات التاريخ لها مكانها المعين الخاص، وليس بالأمكان أن تتقدم أو تتأخر.

فالرأسمالية مرحلة تاريخية تتوسط مرحلة الاقطاع والمرحلة الاشتراكية. ومن المستحيل أن ينتقل المجتمع من الاقطاع الى الاشتراكية دون أن يمر بالمرحلة الرأسمالية، فلا طفرة في مراحل التاريخ كما كان يعتقد الفلاسفة الاقدمون. فالطفرة في التاريخ تشبه انتقال نطفة الانسان الى مرحلة الطفولة دون أن تمر في المرحلة الجنينية، وتشبه انتقال الوليد الى مرحلة الشباب دون أن يمر في مرحلة الطفولة.

من هنا فاصحاب هذا المنطق يطلقون اسم الاشتراكيين المثاليين على الاشتراكيين الذين ارادوا ان ينطلقوا من ايمانهم بالفكرة الاشتراكية الى تطبيق هذه الاشتراكية دون ان يراعوا جبر التاريخ والتسلسل المنطقي للمراحل التاريخية. كما سمو اشتراكيهم بالاشتراكية الطوباوية أو الخيالية، خلافاً للاشتراكيين الماركسيين الذين يقيمون فكرهم على أساس التسلسل المنطقي لحلقات التاريخ.

٣ - ذروة كل مرحلة:

ليس من الضروري أن يمر التاريخ في مراحل المتوالية المرسومة دون طفرة فحسب، بل من الضروري أيضا أن تبلغ كل مرحلة من المراحل الى ذروة كمالها لتتبدل الى مرحلة جديدة أخرى، ولتستمر المسيرة التكاملية. لا بد لمرحلة الاقطاع - مثلا - أن تطوي مسيرتها بالتدرج لتبلغ مرحلة تاريخية معينة يحدث فيها التغيير. وانتظار أية مرحلة مقبلة من مراحل التاريخ دون أن تبلغ المرحلة الراهنة ذروتها كانتظار الولادة قبل أن تطوي النطفة مراحلها الجنينية. وولادة مثل هذه - ان تمت - فهي اجهاض وليست ولادة سليمة.

٤ - قدسية النضال:

لما كان الصراع بين القديم والجديد شرطا أساسيا لانتقال التاريخ من مرحلة الى مرحلة أخرى، وركنا ضروريا من اركان تكامل المجتمع البشري، فالصراع بين القديم والجديد هو نضال مقدس مهما كان لونه. فالقديم يستحق الفناء لالكونه معتديا.. بل لأنه قديم.. ولأن زواله يدفع بالمجتمع نحو التكامل. من هنا فقدسية النضال لا تنطلق من كونها دفاعا عن حق أو ردا لهجوم.

٥ - ائارة الفوضى:

نضال الجديد للقديم ليس وحده هو المشروع والمقدس بل كل تحرک يمهد للثورة ويدفع بعجلة التكامل مشروع ومقدس أيضا، كاثارة الاضطرابات من اجل خلق الاستياء وتعميق الفجوات وتصعيد النضال. فالتكامل - كما ذكرنا - هو أن ينقلب الضد الى ضده في حركة ثورية

سريعة. وطريق هذا التغيير هو الصراع الداخلي للتناقضات. ولا يمكن لهذا التغيير أن يتم دون أن يصل عمق الفجوات وشدة الصراع الى اعلى مرحلة من مراحل تكامله. وكل ما من شأنه ان يوسع الثغور يعمل على الاسراع فى تغيير المجتمع من مرحلة الى مرحلة أسمى. ولما كانت عملية اثاره الفوضى والاضطرابات تستطيع أن تنهض بهذا الدور، فهي مشروعة ومقدسة طبقا لهذا المنطق.

٦- الاصلاحات:

من جهة اخرى، الاصلاحات الجانبيه والخطوات الرامية الى تسكين آلام المجتمع هي خيانة وتخدير ووقوف بوجه التكامل وانخراط فى جبهة اعداء التطوير، اذ ان مثل هذه الاصلاحات والخطوات تقلل من الفجوات ولو بشكل موقت. وتخفف حدة التناقضات. وهذا ما يؤدي الى تأخير موعد انفجار الثورة.. وتأخير هذا الموعد يعادل زيادة مدة بقاء المجتمع فى مرحلة معينة وتأخير موعد التغيير والتكامل. هذه هي أهم نتائج الاتجاه الديالكتيكي او الآلي لتفسير التاريخ.

الطريقة الانسانية أو الفطرية

الطريقة الانسانية أو الفطرية لتفسير التاريخ تقف فى النقطة المقابلة للتفسير الآلي.

هذه الطريقة تمنح الانسان والقيم الانسانية أصالة سواء على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع.

هذه الطريقة تنظر الى الكائن الانساني - فى اطار علم النفس - بأنه مكون من مجموعة غرائز مادية يشترك فيها سائر الحيوانات، ومجموعة من الغرائز

السامية التي تميزه عن غيره من الحيوانات كالغريزة الدينية والغريزة الاخلاقية وغريزة البحث عن الحقيقة «حب التطلع» والغريزة الجمالية.

وفى الاطار الفلسفي، تنظر هذه الطريقة الى المجتمع «من حيث ارتباط أجزائه وافراده بأنه تركيب حقيقي، كما تنظر الى المجتمع «من حيث خصاله» بأنه مجموعة من الخصال الدائية والسامية للأفراد اضافة الى مجموعة خصال باقية مستمرة فى المجتمع.

هذه الخصال الباقية المستمرة تتحكم فى المجتمعات دون أن تتأثر بفساد الافراد.

على أن تكامل الانسان والمجتمع الانساني يمنح هذه الخصال الباقية نظاماً أفضل.

مسيرة التاريخ — انطلاقاً من هذه النظرة — متحولة متكاملة كالطبيعة ذاتها، والحركة باتجاه الكمال ضرورة لا تنفصل عن ذات اجزاء الطبيعة بما فيها التاريخ. تحول التاريخ وتكامله لا يقتصر على الجانب الفني والآلي.. أي لا يقتصر على الجانب المدني، بل انه يعم ويشمل جميع الشؤون المعنوية والثقافية للانسان، ويتجه نحو تحرير الانسان من القيود البيئية والاجتماعية.

والانسان بفعل تكامله الشامل يتحرر تدريجياً من ارتباطه ببيئته الطبيعية والاجتماعية ويتجه نحو توثيق ارتباطه بالعقيدة والايمان والايديولوجية، وسيصل فى المستقبل الى الحرية المعنوية التامة المتمثلة فى الارتباط التام بالعقيدة والايمان والمدرسة الفكرة.

الانسان فى الماضى كان أسيراً وعبدًا لقوى الطبيعة على الرغم من قلة تمتعه بمواهبها، والانسان فى المستقبل سيتحرر من قيود الطبيعة وستزداد سيطرته عليها فى نفس الوقت الذى سيزداد استثماره للطبيعة الى أقصى حد ممكن.

لا ينبغي تفسير التكامل بآلات الانتاج، ولا ينبغي اتخاذ المعلول مكان العلة. تكامل وسائل الانتاج هو بدوره معلول اندفاع الانسان الفطري نحو الكمال والتنوع والاستزادة، وناتج عن قوة الابتكار لدى الافراد.

هذه القوة وذاك الاندفاع يتسعان باستمرار جنباً الى جنب فى جميع جوانب الحياة الانسانية.

وهذه الطريقة ترى أن من خصائص الانسان انطواءه على صراع داخلي بين الجانب الارضى أو الترابي، والجانب السماوي المتعالي.. أي بين الغرائز الهابطة ذات الهدف الفردي المحدود الموقت، والغرائز السامية التي تتجاوز حدود الفردية وتتسع لجميع البشرية وتستهدف تحقيق القيم الخلقية والدينية والعلمية والعقلية.. هذا الصراع أطلق عليه القدماء اسم النزاع بين العقل والنفس.

هذا الصراع الداخلي فى نفس الانسان سينجر الى صراع بين المجموعات البشرية، ويتخذ صورة حرب بين الانسان المتكامل المتحرر روحياً، والانسان المنحط المغلول بقيود حيوانية.

هذا الاتجاه الفكري يقلل مبدأ الصراع الاجتماعي ويؤمن بدور هذا الصراع فى تغيير التاريخ وتكامله. لكنه يترفض أن يكون هذا الصراع طبقياً دائراً بين الفئة المرتبطة بوسائل الانتاج والنظم الاجتماعية القديمة، وبين الفئة المرتبطة بوسائل الانتاج الجديدة.

فالصراع الذي يؤمن به هذا الاتجاه الفكري ويؤمن بدوره فى تطوير التاريخ هو الصراع بين الافراد الملتزمين المؤمنين الهادفين المتحررين من قيود الطبيعة والغرائز الحيوانية، والافراد المنحطين المتساقطين الراسخين فى اغلال الشهوات الهابطة.

وقائع التاريخ تشهد أن كثيراً من الثورات التي قامت من اجل تأمين الاحتياجات المادية للمجتمع تصدر قيادتها أو دعمها على الاقل رجال مستحرون من قيود الشهوات الهابطة.

وبين الطريقتين «الآلية والانسانية» اختلاف فى تفسير طبيعة الثورات والنهضات.

الطريقة الآلية: ترى أن تكامل وسائل الانتاج يخلق طبقة محرومة تنهض بالثورات من أجل تأمين احتياجاتها المادية، فتعتمد هذه الطبقة الى تغيير الانظمة

والقوانين الموجودة وتستبدلها بانظمة وقوانين جديدة.. وتدعي أيضا: أن المحتوى الداخلى لأي انسان يعكس مكانته الطبقية، والطبقة الحاكمة تسعى دوما الى حفظ النظام القائم وصيانتة.

اما الطريقة الانسانية: فتقدم أمثلة تاريخية للثورات التي لم تقتصر على الطبقة المحرومة، بل نهض فيها افراد نشأوا فى الطبقات المرفهة، ووقفوا بوجه النظام الحاكم بقوة وبسالة كنهضات ابراهيم و موسى ومحمد والحسين بن علي. ولم تكن اهداف الثوار مادية دوما، وخير دليل على ذلك ما شهده التاريخ الاسلامي من نهضات فى سبيل الله، وخاصة فى عصر صدر الاسلام، فيصف علي بن أبي طالب — عليه السلام — الرعيل الأول من المسلمين المجاهدين فيقول: حملوا بصائرهم على أسيافهم «نهج البلاغة، الخطبة ١٤٨».

والثورات والنهضات لم تكن دوما مرافقة لتطور وسائل الانتاج، كالنهضات التي شهدتها الشرق والغرب خلال القرون الاخيرة من أجل مقارعة الاستبداد والطغيان.. فأى تطوير لوسائل الانتاج حدث فى ايران — مثلا — أبان النهضة الدستورية؟!

ولم تكن الفوضى الاجتماعية دوما وليدة نقص القوانين الموجودة.. بل كانت أحيانا وليدة عدم تنفيذ القوانين النظرية المقبولة، فانطلقت الحركات الاجتماعية من أجل تطبيق هذه القوانين وتنفيذها عمليا، كحركات الشعوبية وثورات العلويين فى التاريخ الاسلامي.

واخيراً.. فالانسان ليس بالموجود الذي لا يملك أية قدرة فى التحكم بنفسه، وليس بالكائن المدفوع دوما بدوافع غرائزه المادية ومصالحه الذاتية الآتية.

نتائج الاتجاه الانساني او الفطري لتفسير التاريخ

١ - المعارك الراحه:

معارك التاريخ اتخذت أشكالاً وماهيات مختلفة وانطلقت من علل وأسباب متباينة، لكن المعارك التقدمية التي دفعت بسجلة التاريخ والانسانية على سلم الارتقاء هي المعارك التي دارت رحاها بين الانسان العقائدي الملتزم المؤمن المتسامي والانسان العاثر المنحط المغلول بقيود شهواته الحيوانية والبعيد عن خط الالتزام والهدف والتعقل.

المعارك التقدمية التكاملية ليست بذات صفة طبقية وليست بالمجابهة بين القديم والجديد بالمفهوم الذي ينص عليه الاتجاه الآلي.

المعارك البشرية تتجه على مر التاريخ بالتدرج نحو اتخاذ صفة ايديولوجية، ويتجه الانسان بالتدرج نحو التكامل في قيمه الانسانية، أي يقترب من الانسان المثالي ومن المجتمع المثالي.

ستكون نهاية المسيرة الانسانية اقامة حكومة العدل وحكومة سيادة القيم الانسانية، أو بالتعبير الاسلامي «حكومة المهدي».

كما ستزول حكومة قوى الباطل والظلم والطغيان والضلال المنساقه بدوافعها الحيوانية والانانية.

٢ - حلقات التاريخ:

التسلسل المنطقي لحلقات التاريخ ليس له أساس من الصحة كما يصوره أصحاب التفسير الآلي. وقائع التاريخ عامة وما شهدته القرن الماضي خاصة تؤكد زيف هذه النظرية.

في القرن الماضي اتجهت بلدان الى الاشتراكية دون أن تطوي المرحلة

الرأسمالية نظير الاتحاد السوفيتي والصين وبلدان أوروبا الشرقية. ومن جهة أخرى نمة بلدان بلغت فيها الرأسمالية ذروتها كالولايات المتحدة وبريطانيا، لكنها بقيت فى هذه المرحلة دون تغيير أو انتقال، وثبت خطأ كل التوقعات التي أعرب عنها زعماء الاتجاه الآلي حين اكدوا على قرب اندلاع الثورة العمالية فى البلدان الصناعية كبريطانيا وفرنسا.

احداث التاريخ اوضحت زيف ادعاءات الجبر وأثبتت امكان وصول طبقة البروليتاريا الى درجة معينة من الرفاه بحيث لم تُعد تخايرها فكرة الثورة. كما أثبتت امكان انتقال مجتمع من الحالة البدوية الى أسمى مراحل الحضارة الانسانية على أثر انبثاق ايديولوجية معينة وانتشار ايمان ديني بين افراد المجتمع كما حدث فى صدر الاسلام.

٣ - قدسية النضال

مشروعية النضال وقداسته لاتنحصر فى اطار الوقوف بوجه الاعتداء على الحقوق الفردية والوطنية، بل ان اطار هذه المشروعية والقداسة يتسع لكل نضال يستهدف الدفاع عن احدى المقدسات البشرية المهددة بالخطر. فالنضال مشروع متى ما تعرض حق لخطر، خاصة اذا كان ذلك الحق يتعلق بالمجتمع الانساني، كالنضال من أجل التحرير، ومن أجل انقاذ المستضعفين — على حد التعبير القرآني — كما ان النضال على طريق التوحيد مشروع متى ما تعرض التوحيد للخطر — أيا كان هذا الخطر — اذ انه أهم مقومات سعادة البشرية.

٤ - الاصلاحات:

الاصلاحات الجانبية والتدرجية لايمكن ادايتها بأي شكل من الاشكال. فالتاريخ لايطوي مسيرته عبر الاضداد ومن هنا فالاصلاحات الجانبية والتدرجية لاتمنع مسيرته التكاملية ولا تقف بوجه انفجار أحداثه. الاصلاحات الجانبية التدرجية تساهم بدورها فى دعم الحق خلال صراعه مع

الباطل، كما تساعد فى دفع مسيرة التاريخ لصالح دعاة الحق.
ومقابل ذلك، فاعمال الفسق والفجور تساعد قوى العدوان، وتعيق حركة
التاريخ لما فيه ضرر أصحاب الحق.
تطور الاحداث - بناء على هذا التصور - هو كنضج الفاكهة على غصن
الشجرة، لا كإفجار القدر الكاتم كما فى التصور الآلى.
فالشجرة تعطي فاكهة أفضل وأسلم، وربما أسرع، لو اهتمنا برعايتها
وسقيها وكافحنا آفاتها.

٥ - اثارة الفوضى

الدليل على شرعية الاصلاحات الجزئية التدريجية هو ذاته الدليل على عدم
شرعية أعمال التخريب واثارة الفوضى والاضطرابات من أجل خلق الازمات
والمضائق، بخلاف النظرية الآلية التي تضيف صفة الشرعية على مثل هذه الاعمال.

٦ - تأرجح منحنى التاريخ:

المسيرة التاريخية فى خطها الكلى العام تتجه نحو التكامل الا ان هذا الخط
المتصاعد لايسير سيرا تكامليا جبريا فى جميع نقاطه. فليس من الضروري حتما أن
يكون المجتمع فى مرحلة معينة من تاريخه أكثر تكاملا من مرحلته التاريخية السابقة،
لان العامل الاساسى فى حركة التاريخ هو الانسان، والانسان موجود مسختار وذو
ارادة حرة.

منحنى المسيرة البشرية يتأرجح بين الهبوط والارتفاع، وبين السرعة
والبطء والسكون أحيانا. وتاريخ الحضارات البشرية ليس سوى سلسلة من حالات
الازدهار والهبوط والسقوط والانقراض. وكما يقول «تويمبي»: انحطاط
الحضارات امر لايمكن رفضه لكن تاريخ البشرية يطوي بمجموعه مسيرة
تكاملية.

٧ - التحرر من أغلال الطبيعة:

المسيرة التكاملية للبشرية تتجه نحو التحرر من أغلال الطبيعة المادية والظروف الاقتصادية والمصالح الفردية والجماعية لتتخذ طابع الالتزام والايمان الفكري.

ارادة الانسان الابتدائي كانت محدودة غالبا بستأثيرات بيئته الطبيعية والاجتماعية وغرائزة الحيوانية، لكن ارادة الانسان المتطور تحررت بالتدرج من أسر البيئة والغرائز الحيوانية، بل وأضحت تتحكم فى عوامل البيئة والغرائز تبعا لتكامل ثقافة الانسان واتساع أفافه وازدياد التزامه بالايديولوجيات التقدمية.

٨ - ماهية الجهاد:

حركة الجهاد والامر بالمعروف لها ماهية انسانية لاطبقية.

٩ - أصالة القوى الفكرية والاخلاقية:

قوة الاقتناع الفكري، أي قوة الاستدلال والبرهان، لها اصالتها فى الوجود الانساني، وبعبارة اخرى: الضمير البشري - سواء من الناحية الفكرية، أو من حيث النزوع نحو السمو الانساني - قوة أصيلة تتحكم أحيانا فى المتطلبات المادية.

١٠ - المثلث الهيفلي:

مثلث الديالكتيك «الاطروحة والطباق والتركيب» بشكله الهيفلي الماركسي لاينطبق على التاريخ ولا على الطبيعة.
حلقات التاريخ ليست سلسلة من الاضداد المنبثقة بعضها من بعض. كما ان

الطبيعة لا تفسر عبر هذا المثلث..
 هذا المثلث يقوم على أساس تبدلين وتركيب واحد، أي تبدل الشيء الى ضده،
 وهذا الضد الى ضده، ثم يحدث التركيب في المرحلة الثالثة.
 وما يحدث في الطبيعة اما أن يكون تركيبا للاضداد دونما تبدل، أو تبدلا
 للاضداد دونما تركيب، أو ان يكون تكاملا خاليا من تركيب الاضداد وتبدلها.
 فتفاعل الاوكسجين والهيدروجين تركيب ليس فيه تبدل «أي لم يتبدل احد
 العنصرين الى العنصر الآخر»...
 ويحدث أحيانا ان تتدخل الطبيعة في ايجاد حالة تعادل بين ظاهرتين
 متناقضتين. وفي مثل هذه الحالة يحدث تبدل ليس معه تركيب وتكامل.
 وجدير بنا ان نقول للمفهومين بالفاظ المثلث الهيجلي وبلطفة الديالكتيك: اننا
 نستطيع ان نطلق على أحد الموجودين المتفاعلين اسم «الاطروحة» وعلى الآخر
 اسم «الطباق»، وكذلك على حالة التعادل بين الظاهرتين المتناقضتين اسم
 «التركيب».
 كما نستطيع أيضا ان نطلق على كل فكر يقوم على أساس الحركة والتناقض
 اسم «الفكر الديالكتيكي»، ولو ان هذا الفكر يفتقد العنصر الاساسي الذي امتازت به
 الماركسية.
 لكنه ينبغي الالتفات الى أن اطلاق هذه الالفاظ هو اصطلاحى محض قد
 تدفعنا اليه رغبة شخصية لاكثر.

نظريتان لتفسير الانسان

الطريقتان السابقتان لتفسير الحركة التكاملية للتاريخ ناتجتان عن نظريتين
 مختلفتين لتفسير الانسان وهويته الواقعية وملكانه الكامنة.
 احدى النظريتين ترى الانسان موجودا مغلولا بمصالحه المادية ومصالحه

الاقتصادية ومسيرا في اتجاه جبري يفرضه عليه تطور وسائل الانتاج. وكل ما ينطوي عليه الانسان من مشاعر ورغبات وأحكام وافكار وقدرة على الانتخاب انما هو انعكاس لظروف بيئته الطبيعية والاجتماعية.

الانسان بموجب هذه النظرة مرآة لاستطيع أن تعكس سوى ما يحيطها، وليس بمقدوره أن يقوم بأدنى حركة خلافا لما تسمح به ظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية. والنظرة الاخرى ترى الانسان موجودا متمتعا بخصال الهية ومزودا بفطرة تدفعه لان يطلب الحق وينشده، وقادرا على التحكم بنفسه وعلى التحرر من جبر الطبيعة والبيئة والفرائز والمصير المحتوم.

والقيم الانسانية بموجب هذه النظرة لها أصالتها في الانسان، أي ان ثمة نزعات قد أودعت في طبيعة الانسان، والموجود البشري بموجب طبيعته الانسانية ينشد القيم الانسانية السامية، وبعبارة اخرى ينشد الحق والحقيقة والعدالة ومكارم الاخلاق، ويستطيع بموجب قواه العقلية ان يخطط لبناء مجتمعه وان لا يستسلم استسلاما أعمى لظروف البيئة، وان ينفذ مشاريعه الفكرية انطلاقا من ارادته وقدرته على الانتخاب.

دور الوحي هو الموجه والمساعد للانسان، باعتبار أن الوحي هادي البشرية وحامي القيم الانسانية.

الانسان يتأثر دون شك بظروف بيئته، لكن هذا التفاعل لايسير باتجاه واحد بل ان الانسان يؤثر أيضا على بيئته.

والمسألة الاساسية في هذا التفاعل هي ان تأثير الانسان على البيئة لا يظهر على شكل ردود فعل جبريه قهرية. فالانسان، باعتباره موجودا واعيا حرا مريدا قادرا على الانتخاب ومجهزا بخصائص فطرية سامية، يبدي أحيانا ردود فعل تختلف عما يبديه حيوان مُسَيَّر فاقد للوعي من ردود فعل.

الخصلة الرئيسية التي تميز الانسان عن سائر الموجودات هي قوة سيطرة الانسان على نفسه والثورة على انحرافات. وكل النقاط المضئية في تاريخ البشرية نابعة من هذه الخصلة.

وهذا الجانب المتسامي من الانسان منسي تماما فى الاتجاه الآلى لتفسير التاريخ.

التفسير القرآني

التفسير القرآني للتاريخ ينطلق دون شك من النظرة الثانية. القرآن يسرد وقائع التاريخ البشري منذ بداية الخليقة على أنها صراع مستمر بين قوى الحق وقوى الباطل، بين مجموعة من أمثال ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد — عليهم الصلاة والسلام — واتباعهم المؤمنين، ومجموعة أخرى من أمثال نمرود وفرعون وجبارة اليهود وابي سفيان وأمثالهم. فلكل فرعون موسى...

وفى خضم هذا الصراع المستمر ينتصر الحق حيناً والباطل حيناً آخر. وانتصار أحد الفريقين أو فشله يرتبط طبعاً بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية.

تأكيد القرآن على تأثير العوامل الأخلاقية فى مسيرة التاريخ صير من التاريخ مصدر تعليم مثمر معطاء، ولو نظرنا الى التاريخ على أنه مجموعة صدف واتفاقات ليس لها علة ولا موازين أو ضوابط، لتبدلت أحداث التاريخ الى أساطير لاتصلح الا للتسلية والسمر وتربية الخيال، دون أن يكون فيها أي عطاء تعليمي. ولو أننا بوجود قواعد وموازين للتاريخ دون أن يكون للانسان دور فيه، لأضحى العطاء التعليمي للتاريخ نظرياً فقط لاعملياً.

وسوف نتعلم — فى هذه الحالة — من التاريخ نظير ما نتعلمه من حركات الكواكب والمجرات.

وكما ان معلوماتنا عن الكواكب والنجوم لاتساعدنا فى تغيير مسيرها، كذلك معلوماتنا عن التاريخ لاتمنحنا أي دور فى تعيين مسير حركة التاريخ. أما حينما نؤمن بضوابط التاريخ وموازينه وقواعده، وبدور ارادة الانسان فى

تعيين مسير حركة التاريخ وبالدور الاصيل والحاسم للقيم الاخلاقية والانسانية، يصبح التاريخ حينئذ عطاء تعليمي مفيد، والقرآن ينظر الى التاريخ من هذه النافذة. القرآن الكريم يتحدث مرارا عن الدور الرجعي الذي يلعبه «الملأ» و «المترفون» و «المستكبرون» على مسرح التاريخ، كما يتحدث عن دور «المستضعفين»...

ويؤكد القرآن في الوقت ذاته على أن الصراع المستمر بين الفريقين منذ فجر التاريخ ذو هوية معنوية انسانية لامادية طبقية.

المجتمع المثالي

مسألة نهضة «المهدي» — عليه السلام — قضية اجتماعية فلسفية كبرى. هذه المسألة لها أركانها وعناصرها المختلفة، بعض هذه الاركان والعناصر فلسفي عالمي يشكل جزءا من التصور الاسلامي، وبعضها ثقافي تربوي، وبعضها سياسي وبعضها اقتصادي، وبعضها اجتماعي وبعضها انساني أو انساني — طبيعي. لا يسعنا هنا أن ندرس هذه المسألة على ضوء القرآن والسنة، كذلك نكتفي بذكر خلاصة لخصائص هذه البشري الكبرى للكشف عن ماهية «الانتظار الكبير». — التفاؤل بمستقبل البشرية: فحول مستقبل المسيرة البشرية اختلف الآراء والنظرات.

اعتقد بعض المفكرين أن الشر والفساد والتعاسة صفات لا تفارق الحياة البشرية، وذهبوا الى أن الحياة لا قيمة لها الاطلاق، وافضل ما يستطيع أن يقوم به الانسان هو أن يضع نهاية لهذه الحياة.

وبعض آخر ذهب الى أن الحياة البشرية براء، وقال: ان البشرية تحفر قبرها بيدها بفعل تطورها التكنولوجي وتقدمها في صنع وسائل التخريب والدمار، وهي على شفا السقوط والانهار.

يقول «رسل» في «الآمال الجديدة»: «... ثمة افراد — منهم أنشتاين — يزعمون أنه من المحتمل جدا أن يكون الانسان قد طوى دورة حياته، وسيستطيع خلال السنوات القليلة القادمة ان يببذ نفسه بما يتمتع به من مهارة علمية فائقة». واستنادا الى هذه النظرية، تواجه البشرية الفناء الآن وهي فى ربيع عمرها، وعلى ابواب نضجها الثقافي.

واذا اكتفينا بالشواهد الظاهرية، فاننا لا نستطيع طبعاً ان ننفي هذا الاحتمال. اما النظرية الثالثة فترفض المقولتين السابقتين، فلا الشر والفساد والتعاسة صفات تلازم البشرية، ولا التطور المدني المادي بقادر على اباداة البشرية، بل ان البشرية تتجه نحو مستقبل مشرق سعيد تنقلع فيه جذور الظلم والفساد. هذه النظرية يبشر بها الدين، ونهضة المهدي ترتبط بهذه البشرى. ب — انتصار الحق والتقوى والسلام والعدل والحرية على الظلم والدجل والاستكبار والاستعباد.

ج — قيام حكومة عالمية واحدة.

د — عمران الارض بحيث لا تبقى بقعة خربة غير عامرة.

هـ — بلوغ البشرية حد النضج والتكامل يلتزم فيه الانسان طريق العقل والعقيدة، ويتحرر من أغلال الظروف الطبيعية والاجتماعية والغرائز الحيوانية. و — استثمار ذخائر الارض الى أقصى حد ممكن.

ز — احلال المساواة التامة بين البشر فى حقل الثروة.

ح — اقتلاع جذور الفساد كالزنا والربا والخيانة والسرقة والقتل وشرب الخمر، وخلو النفوس من العقد والاحقاد.

ط — زوال شبح الحروب وسيادة السلام والحب والتعاون والصفاء.

ي — المواءمة بين الانسان والطبيعة.

هذه الاهداف تلقي الضوء على ماهية مسألة المهدي، وكل واحدة منها تحتاج الى استدلال وتحليل ودراسة لا يسعها بحثنا هذا، فنتركها الى فرصة أخرى.

الانتظار الكبير

المستقبل الذي ينبغي أن تُعقدَ عليه الآمال، والذي شاءت الارادة الالهية أن يسير نظام العالم تجاهه، هو هذا الذي ذكرناه.
والآن ينبغي أن نعود الى موضوع انتظار الفرج الذي قسمناه فى بداية هذا الحديث الى قسمين:

انتظار بناء حركي ملتزم عبادي، بل من أفضل العبادات، وانتظار مخرب معوق يبعث على الخمود والخمول والكسل والتقاعس، ويعتبر نوعاً من «الاباحية».
ذكرنا أن هذين اللونين من الانتظار ينطلقان من نوعين من التصور حول الحدث التاريخي العظيم المتمثل بظهور المهدي الموعود.
وهذان التصوران ينتجان بدورهما من نوعين من التصور بشأن تطور التاريخ.
نشرح فيما يلي هذين النوعين من الانتظار ونبدأ بالانتظار المخرب:

الانتظار المخرب

بعض المؤمنين بظهور المهدي يتصورون أن نهضة هذا المنجي ذات طابع انفجاري محض، وناتجة فقط عن انتشار الظلم والجور والفساد والطغيان، أي أن مسألة الظهور نوع من الإصلاح — انج — تصاعد الفساد.
هؤلاء يتصورون أن مسيرة البرية تتجه الى انعدام العدل والفسط، والى زوال انصار الحق والحقيقة، والى استفحال الباطل.
وحينما يصل هذا الانحدار الى نقطة الصفر يحدث الانفجار المرتقب، وتمتد يد الغيب لانتقاذ الحقيقة — لانصار الحقيقة — إذ لن يبقى للحقيقة انصار آنذاك.
هذا التصور يُدين كل اصلاح، لأن الإصلاح يشكل نقطة مضيئة على ساحة المجتمع العالمي، ويؤخر الامداد الغيبي كما يعتبر هذا التصور كل ذنب وتسميز واجحاف مباحاً لأن مثل هذه الظواهر تمهد للاصلاح العام وتقرب موعد الانفجار.

هذا التصور يميل الى مذهب الذرائع الذي يذهب الى أن الغاية تبرر الوسيلة.
 -فإشاعة الفساد - بناء على هذا التصور - أفضل عامل على تسريع ظهور
 المهدي وأحسن شكل لا انتظار فرج ظهوره.
 اصحاب هذا التصور ينظرون الى الذنوب نظرة تفاؤل واستبشار ويعتبرونها
 عاملاً مساعداً على انطلاق الثورة المقدسة الشاملة.
 هؤلاء ينظرون الى المصلحين والمجاهدين والآمرين بالمعروف والنهي
 عن المنكر بعين الحقد والعداء. لانهم يعملون على تأخير ظهور المهدي.
 اصحاب هذا التصور - ان لم يكونوا هم من زمرة العصاة - ينظرون الى
 اصحاب المطاعين بعين الارتياح والرضى لانهم يمهّدون لظهور القائم المنتظر.

تصور شبه الديالكتيكي

الاتجاه المخرب في فهم قضية ظهور المهدي يشترك مع الاتجاه
 الديالكتيكي في معارضته للإصلاحات وفي تأييده لأنواع الظلم والفساد باعتبارها
 مقدمة لانفجار مقدس، مع فارق بين الاتجاهين هو أن الاتجاه الديالكتيكي يعارض
 الإصلاحات ويؤكد على ضرورة تشديد الفوضى والاضطرابات انطلاقاً من هدف
 مشخص يتمثل في تعميق الفجوات والتناقضات لتصعيد النضال.
 لكن هذا التفكير المبتذل في مسألة ظهور المهدي يفقد هذه النظرة، ويرتأي
 زيادة الظلم والفساد من أجل الوصول الى النتيجة المطلوبة تلقائياً.
 هذا اللون من الفهم لمسألة ظهور المهدي وهذا النوع من الانتظار للفرج لا
 يرتبط على الاطلاق بالموازن الاسلامية والقرآنية اذ انه يؤدي الى التعمد في تعطيل
 الحدود والاحكام الاسلامية بل الى نوع من الاباحية.

الانتظار البناء

الآيات الكريمة التي تشكل أرضية التفكير حول ظهور المهدي المنتظر تتجه الى جهة معاكسة للنظرة السابقة.

هذه الآيات تشير الى أن ظهور المهدي حلقة من حلقات النضال بين أهل الحق وأهل الباطل، وأن هذا النضال سيسفر عن انتصار قوى الحق. وتوقف مساهمة الفرد في تحقيق هذا الانتصار على انتماؤه العملي الى فريق أهل الحق.

هذه الآيات التي تستند اليها الرويات في مسألة ظهور المهدي تشير الى أن المهدي تجسيد لآمال المؤمنين العاملين، ومظهر لحتمية انتصار فريق المؤمنين: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...».

ظهور المهدي الموعود تحقيق لمنة الله على المستضعفين و وسيلة لاستخلافهم في الارض و وراثتهم لها.

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الارض، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون. القصص ٥٨.

ظهور المهدي الموعود تحقيق لما وعد الله به المؤمنين والصالحين والمتقين في الكتب السماوية المقدسة:

«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ».

ثمة حديث معروف في هذا المجال يذكر أن المهدي

«يَمْلَأُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا».

هذا الحديث شاهد على ما ذهبنا اليه في مسألة الظهور لا على ادعاء ارباب

الانتظار المخرب.

هذا الحديث يركز على مسألة الظلم ويشير الى وجود فئة ظالمة وفئة مظلومة والى أن المهدي يظهر لنصرة الفئة المظلومة التي تستحق الحماية. ولو كان الحديث يقول ان المهدي «يملأ الله به الارض ايماناً ونوحيداً وصلاحاً بعدما ملئت كفراً وشركاً وفساداً» لكان معنى ذلك أن نهضة المهدي الموعود تستهدف انقاذ الحق المسحوق لا انقاذ انصار الحق، وان كان هؤلاء الانصار أقلية. يروي الشيخ الصدوق عن الامام الصادق - عليه السلام:

«ان ظهور المهدي لا يتحقق حتى يشقى من شقى ويسعد من سعد».

الحديث عن الظهور يدور حول بلوغ كل شقى وكل سعيد مداه في العمل، ولا يدور حول بلوغ الاشقياء فقط منتهى درجتهم في الشقاوة. وتحدث الروايات الاسلامية عن نخبة من المؤمنين يلتحقون بالامام فور ظهوره.

ومن الطبيعي أن هذه النخبة لا تظهر معلقة في الهواء بل لابد من وجود ارضية صالحة تربي هذه النخبة على الرغم من انتشار الظلم والفساد. وهذا يعني أن الظهور لا يقتصر بزوال الحق والحقيقة، بل أهل الحق - حتى ولو قلوا قرضاً - يتمتعون بكيفية عالية تجعلهم في مصافي المؤمنين الاخيار، وفي مرتبة انصار الحسين بن علي - عليه السلام.

الروايات الاسلامية تتحدث أيضاً عن سلسلة من النهضات يقوم بها انصار الحق قبل ظهور المهدي، منها نهضة اليماني. مثل هذه النهضات لا يمكن أن تبتدئ بساكن، ولا تظهر دون ارضية مسبقة.

بعض الروايات تتحدث عن قيام دولة اهل الحق التي تستمر حتى ظهور المهدي.. حتى ان بعض العلماء أحسنوا الظن بدولة بعض السلالات الحاكمة، فظنوها أنها الدولة التي ستحكم حتى ظهور المهدي.

هذا الظن - وان كان ينطلق من سذاجة فسي فهم الوقائع السياسية والاجتماعية - يدل على استنباط هؤلاء العلماء من الروايات والاخبار المتعلقة بظهور المهدي ما يشير الى أن الظهور لا يقتصر بفناء الجناح المناصر للحق والعدل

والإيمان، بل يقترن بانتصار جناح العدل والتقوى والمصالح على جناح الظلم والتحلل والفساد.

الآيات والروايات المرتبطة بظهور المهدي المنتظر تدل على أن ظهوره يشكل آخر حلقة من حلقات الصراع الطويل بين أنصار الحق وأنصار الباطل منذ بدء الخليقة.

«المهدي المنتظر تجسيد لأهداف الأنبياء والصالحين والمجاهدين على طريق الحق».